



قراءة مساواتية لمفاهيم "الخلافة" و"الولاية" و"القوامة"

أسماء المرابط

تطرح أسماء المرابط في هذا الفصل تفسيراً نسوياً مرتكزاً على القرآن لمفهومي "القوامة" و"الولاية" يمكّننا من استعادة المعاني الإيجابية والتمكينية التي ينطوي عليهما المفهومان في النص. وترى الباحثة وجود ثلاثة مفاهيم متداخلة في القرآن تجسد رسالة الإسلام الروحانية، هي مفاهيم تعنى بفكرة العدالة وترشدنا نحو تبني الالتزام بمنحى الإسلام المساواتي في المجال العام والخاص على حد سواء. هذه المفاهيم الثلاثة هي: "الاستخلاف"، و"الولاية"، و"القوامة".

تشرح المرابط فكرة "الاستخلاف" المشتقة من كلمة خلافة على أنها تشير إلى مسؤولية الرجال والنساء المتساوية، بوصفهم خلفاء لله في الأرض، عن الإسهام في بناء الحضارة الإنسانية.

أما المفهوم الثاني وهو "الولاية" الذي يرد في الآية 71 من سورة "التوبة" فيدعو المؤمنين والمؤمنات بوضوح إلى دعم بعضهم البعض، والاضطلاع بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتوضح المرابط أن مفهوم "الولاية" في القرآن يدعم المساواة بين الرجال والنساء ويفرض على كل منهم المشاركة في القيام بالمهام العامة المتعلقة بتحقيق الخير والحول دون وقوع المنكر.

وتشرح المرابط المفهوم الثالث وهو "القوامة" قائلة إنه مشتق من كلمة "قوامون" التي ترد في ثلاث آيات في القرآن: الآية 135 من سورة "النساء"، والآية 8 من سورة "المائدة"، والآية 34 من سورة "النساء". وتشير الباحثة إلى استخدام الكلمة في الآيتين الأولتين لحث المؤمنين والمؤمنات على تحقيق 'القسط والعدل والحكم الرشيد' في المجال العام. وتوضح لامبرت أن هذا المعنى للقوامة بوصفها 'التزاماً ذاتياً بالقسط والعدل والحكم الرشيد' هو الذي يعكس المعنى الأساسي للمفهوم في النص القرآني. ولكن المفسرين قد شوهوا هذا المفهوم بتفسيرهم إياه في المجال الخاص (في الآية 34 من سورة "النساء")، بل تسببوا في التعطيم على جوانبه الأخرى على مدى تراث التفسير كله. وقد تطور فهم مفهوم "القوامة" في المجال الخاص في التفاسير التقليدية والحديثة من كونه أحد وسائل تنظيم الحياة الأسرية وتحديد مسؤولية الزوجين عن رعاية من هم في مواضع أضعف داخل الأسرة إلى مفهوم يكرس لتفوق الرجال واعتماد النساء عليهم وتدني مكانتهن. ولكن هذا المفهوم للقوامة يأتي متعارضاً مع رسالة النص القرآني إلى كل من الرجال والنساء في الآيات 135 من سورة "النساء" و8 من سورة "المائدة"، كما يبتعد عن رؤية القرآن للزواج بوصفه علاقة مبنية على المودة والرحمة (الآية 12 من سورة "الروم"). كما لا يأخذ مفهوم "القوامة" ذلك في الحسبان تغيير توزيع أدوار الرجال والنساء داخل الأسرة على مدى الزمن تبعاً لتغير سياقات وواقع حياة الناس. وتقدم المرابط طرحاً يقول بأن قراءة النص القرآني، بصورة متكاملة ودقيقة، تكشف لنا عن أن القرآن لا يقدم أدواراً ثابتة للزواج والزوجات.

وتختتم المرابط الفصل قائلة إن إعادة تفسير مفهوم "القوامة" و"الولاية" باستعادة معانيهما في القرآن وربطهما بمفاهيم قرآنية أخرى مثل "الخلافة"، تعد جهوداً ضرورية لإنتاج معرفة نسوية تهدف إلى الإصلاح وتتوخى خصوصية السياقات المختلفة، وتؤدي في النهاية إلى التأكيد على رسالة القرآن الروحانية.